

## مثلان من مقدرة النبى ﷺ على الإقناع

د. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

١ - روى ابن هشام : عن أبي سعيد الخدري قال: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة، حتى قال قائلهم: لقد لقي والله رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عباد، فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطاء عظاما في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي، قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، قال: فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة.

قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا له أتاه سعد، قال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: "يا معشر الأنصار، ما قالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها علي في أنفسكم، ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟"، قالوا: بلى، الله ورسوله آمن وأفضل، ثم قال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل، قال ﷺ: "أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقتم، ولصدقتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فأويناك، وعائلا فأسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة<sup>(١)</sup> من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب

<sup>(١)</sup> هي: البقية اليسيرة من الشراب في الإناء.

الناس بالشاة والبغير، وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكُم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار".

قال: فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسما وحظا، ثم انصرف رسول الله ﷺ، وتفرقوا<sup>(١)</sup>.

وقال الحافظ ابن كثير بعد ما ذكره: وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه، وهو صحيح<sup>(٢)</sup>.  
في هذا الخبر مواقف: منها:

أولاً: ما قام به النبي ﷺ من إقناع الأنصار رضي الله عنهم، وذلك ببيانه البديع الذي غيّر به مشاعرهم، وذلك بعد ما بيّن بأسلوبه الرائع السبب الذي من أجله تصرف ذلك التصرف في قسمة الفية، والأمر الذي كان غائبا عن الأنصار تصوره، فلما فهموا مراد النبي ﷺ اقتنعوا حالا، وعلموا أنه ما تركهم إلا إعلاء لشأنهم واعتقادا منه بعلو كعبهم في الإيمان بهذا الدين.

ومن هنا نعلم أن الخطأ في تصور الأمور على حقيقتها والقصور في إدراك المقاصد قد يتعرض له بعض أقوياء الإيمان مما ينجم عنه اعتراض على تصرفات القادة، الأمر الذي قد يترتب عليه الخلل في سير العمل، ولكن سرعان ما يزول هذا التصور الخاطئ وتعود المياه إلى مجاريها إذا وُفق المسلمون بالقادة الحكماء الذين يزنون الأمور ويضعونها في مواضعها.

(١) سيرة ابن هشام: ٤ / ١٧٥ - ١٧٨، وأخرجه الإمام البخاري وذكر نحوه، صحيح البخاري، المغازي (٨ / ٤٧)، رقم ٤٣٣٠، وأخرجه الإمام مسلم، وذكر نحوه، صحيح مسلم، الزكاة، رقم ١٠٥٩، (ص: ٧٣٣)، وأخرجه الواقدي وذكر نحوه، مغازي الواقدي: ٣ / ٩٥٦ - ٩٥٨.

(٢) البداية والنهاية: ٤ / ٣٥٧، ٣٥٨.

ولقد قدّم النبي صلى الله عليه وسلم لبيان السبب في إعطاء تلك العطايا الكبيرة في بعض زعماء القبائل بمقدمة بيّن بها فضل الأنصار، كما ختم كلمته ببيان فضلهم والدعاء لهم ولذرياتهم، ولقد وفق ﷺ تمام التوفيق في إقناع الأنصار بوجهة نظره، فتغيرت مشاعرهم وملامحهم من إضرار السخط وإظهار النقد إلى إضرار الرضى وإظهار الفرح والسرور والتأثر البالغ مما صدر منهم، الذي عبّروا عنه بالدموع الغالية التي انسكبت على لحاهم، وبقولهم: رضينا برسول الله ﷺ قسما وحظا، رضي الله عنهم أجمعين.

ثانيا: موقف يذكر لسعد بن عباد رضي الله عنه حينما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي، فهذا يدل على اتصافه بخلق الصراحة والصدق، فهو لم يبرئ نفسه من الموجدة على رسول الله ﷺ مع علمه بأنه يكره ذلك ما دام أنه قد أضمر في نفسه هذا الأمر.

وقد جاء في إحدى روايات مسلم، فقال: يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما الذي بلغني عنكم؟" قالوا: هو الذي بلغك، وكانوا لا يكذبون. وهكذا كانت أخلاق الصحابة رضي الله عنهم قائمة على الصدق والوضوح والصراحة، بينما نجد الحال الآن من أبناء الدنيا يشاركون في الإنكار على المسؤول، ثم يجاهرونه بغير ما يضمرونه في أنفسهم خشية إثارة نقمته أو التعرض لسخطه.

٢ - قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس، ومعه من هوازن سبي كثير، وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف: يا رسول الله، ادع عليهم، فقال رسول الله ﷺ: "اللهم اهد ثقيفا وائت بهم"، ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة، وكان مع رسول الله ﷺ من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء، ومن الإبل والشاء ما لا يُدرى عدته.

قال ابن إسحاق: حدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو: أن وفد هوازن أتوا رسول الله ﷺ وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أهل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخفَ عليك، فامنن علينا، من الله عليك، قال: وقام رجل من هوازن، ثم أحد بني سعد بن بكر، يقال له زهير، يُكنى: أبا صرد، فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا ملحنا للحارث بن أبي شمر، أو للنعمان بن المنذر<sup>(١)</sup>، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين. قال ابن هشام: ويروى: ولو أن مالحنا الحارث بن أبي شمر، أو النعمان بن المنذر.

قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو، قال: فقال رسول الله ﷺ "أبناءؤكم ونساءؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟" فقالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب إلينا، فقال لهم: "أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس، فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيك عند ذلك، وأسأل لكم"، فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به فقال رسول الله ﷺ: "أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم"، فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. قال: يقول عباس بن مرداس لبني سليم: وهنتموني.

(١) يعني: لو كان أحدهما رضع فينا كما رضعت.

فقال رسول الله ﷺ: "أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول سبي أصيبه، فردوا على الناس أبناءهم ونساءهم"<sup>(١)</sup>.  
في هذا الخبر مواقف، منها:

أولاً: سياسة النبي ﷺ الحكيمة وحسن تصرفه ومقدرته على الإقناع، فقد جاء إليه وفد من قبيلة هوازن التي نُكبت في نسائها وأبنائها وأموالها، جاؤوا إليه مسلمين راغبين في فكك أسراهم وإعادة أموالهم إليهم، فخلص لهم النبي ﷺ نساءهم وأبناءهم من الرق في موقف واحد وكلمات معدودات، من غير أن يغتصب هذا من المسلمين الغانمين بعدما امتلكوه، بل بحسن السياسة والقدوة الحسنة والتدبير المحكم.

إن تصرف النبي ﷺ يُعد مثالا عاليا للتربية بالقدوة الحسنة، فقد ضرب المثل في البذل والتضحية بنفسه وقرباته الأذنين، ولسان حاله يقول: ارتفعوا أيها المسلمون إلى هذا المستوى العالي الذي رفعت إليه نفسي وقرايتي، ولا شك أن هذا من أبلغ الأساليب في التأثير على النفوس، خاصة إذا صدر ممن هو محط الأنظار وموضع القدوة.

ولقد نجح النبي ﷺ نجاحا كبيرا، حيث حل هذه القضية المشككة بعد صلاة الظهر في كلمات ... نجح حينما حمل أكثر المسلمين على التنازل عما في أيديهم من الأسرى تأسيا به ﷺ، ونجح حينما حل مشكلة المتمنعين المتمسكين بما في أيديهم، حيث ألزمهم بتسليم ما في أيديهم من الأسرى في مقابل ستة أسهم من أول فيء يفيئه الله تعالى عليه، فهو في هذه الحال لم يقرّ التفرقة بين الأسرى، بحيث يعتق فريق ويبقى فريق على الرق، ولم يجبر أصحاب الحق على تسليم ما في أيديهم بدون مقابل، بل أعطاهم ما أرضاهم مقابل حقهم.

<sup>(١)</sup> سيرة ابن هشام: ٤ / ١٥٦ - ١٥٩، وأخرجه الإمام البخاري من حديث مروان والمصور بن مخرمة مختصرا، صحيح البخاري، المغازي: ٨ / ٣٢ - ٣٣، رقم: ٤٣١٨، ٤٣١٩، وأخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو، ذكره الهيثمي وقال: رجال أحد إسناده ثقات: ٦ / ١٨٨، وأخرجه الواقدي عن شيوخه، وذكر نحوه، مغازي الواقدي: ٣ / ٩٤٩ - ٩٥٢.

فما أحكم هذه السياسة! وما أعظم هذه القدوة! وما ألطف هذا التدبير! ثانيا: موقف جليل للصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار وبني سليم، حيث تنازلوا حالا عما في أيديهم من الأسرى تأسيسا برسول الله ﷺ وبني عبد المطلب، وهذا دليل على قوة إيمانهم وتجردهم من حظ النفس وتنافسهم في الخير وعمل الآخرة.

ومما يلاحظ أنهم بادروا إلى هذا العمل الصالح من غير تردد، وكان السابقون إلى التنازل هم المهاجرون وهذه منقبة تذكر لهم. كما أنه يلاحظ أن هذه الطوائف كانت متحدة الكلمة فيما بينها، حيث لم يقم أحد من الأتباع يخالف ما أمضاه السادة الذين يتكلمون عادة بلسان قومهم، وهذه فضيلة تذكر لهؤلاء الأماجد الكرام، إلا ما كان من بني سليم وزعيمهم، فقد تداركوا الموقف وخالفوه ووافقوا المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين.



### شهادة العالم الأمريكي المعاصر "مايكل هارت":

إن اختياري محمدا ليكون الأول في قائمة أهم رجال التاريخ ربما أدهش كثيرا من القراء إلى حد قد يثير بعض التساؤلات، ولكن في اعتقادي أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمر وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي". (مايكل هارت: المائة الأوائل، ص ٢٩)